الحوار الإسلاميّ المسيحيّ
المنهج
من خلال القرآن الكريم والسنّة النبويّة الشريفة

أ. د. محمّد منير سعدالدين*

مدخل

تنامى الاهتمام بالحوار بحيث أصبح في عصرنا هذا مصطلحًا مهمًّا في العلاقات المسيحيّة الإسلاميّة، وهو جوهر الحياة البشريّة حين يتمّ بين ذوي النوايا الطيّبة. إنّه تقليد حضاريّ، وفعل ثقافيّ رفيع المستوى، ومجال للتعارف والتفاهم، وتحقيق العدالة والرأفة، والعيش والحياة المشتركة، والتسامح في التعامل.

وإذا عدنا إلى الدولة الإسلاميّة نرى المسيحيّين وغيرهم من أهل الكتاب تمتّعوا في ظلّها بالحرّيّة، حيث جرت مؤتمرات وحوارات دينيّة: «ففي مطلع القرن الثالث الهجريّ عقد في مدينة (مرو) حوار بين الأديان من غير مجاملات ومداهنات، جمع هذا الحوار الجاثليق كبير النصارى، ورأس الجالوت زعيم اليهود، والهربذ الأكبر ممثّل الزرادشتيّة، وعمران الصابئ قطب الصابئة، والفيلسوف قسطاس الروميّ، وجمع من المتكلّمين»[1].

(*) أستاذ جامعيّ، ومنسّق لقاء الكلّيّات والمعاهد الجامعيّة الدينيّة في لبنان.

(١) يتسام داود عجك: الحوار الإسلاميّ المسيحيّ، لا. م، دار نحية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص ١٧٠.

وعقدت مؤتمرات «كمؤتمر أشبيلية في سنة ١٦٦هـ/ ٧٨٢م، ومؤتمر قرطبة سنة ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م»[٢].

ولقد قامت علاقات جيّدة بين المسلمين والمسيحيّين في النواحي السياسيّة والاجتماعيّة والعلميّة والدينيّة «وكانت العلاقات الدينيّة كثيرة بين رجال الدين الإسلاميّ وأئمّة النصارى، وقامت جدالات صريحة بين الفقهاء واللاهوتيّين بحضرة المأمون»[٣].

ونَعِمَ «النصارى في العصور العربيّة الإسلاميّة الزاهية... باحترام المسلمين وتقديرهم، فكان لهم شأن في الدولة تمكّنوا به من المحافظة على معظم كنائسهم وديورتهم، كما حافظوا على حريّتهم الدينيّة»[٤].

وفي ظلّ هذه الحرّيّة التي تمتّع بها أهل الكتاب عامّة، والمسيحيّون خاصّة، يبدو ذلك التنوّع في الحوار الإسلاميّ المسيحيّ في ظلّ الدولة الإسلاميّة بحيث يمكن تقسيمه إلى ما يلي:

أ - الحوارات الفرديّة

تُعتبر الحوارات الفرديّة الإسلاميّة المسيحيّة «من أكثر ما سجّله تاريخ الجدل العقائديّ، لأنّه نشأ على الاحتكام المباشر بين المسلمين والمسيحيّين، وكان يتمّ بين كلّ طبقات المجتمع، بدءًا من الفرد من عامّة الناس، ووصولًا إلى العالم المتخصّص وإلى رجل الدولة، حيث كان الحوار ممارسة يوميّة، يعيشها المسلمون والمسيحيّون على السواء»[٥]. ومن هذه الحوارات على سبيل المثال: حوار الخليفة العبّاسي المهدي مع

---

(٢) عبد الرحمن عليّ الحجي: الحضارة الإسلاميّة في الأندلس، بيروت، دار الدراسات للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٣٦٩هـ/١٩٦٣م، ص ٢٣.

(٣) المطران ميشيل يتيم، الأرشمنديت إغناطيوس دبك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، جونية، المكتبة البولسيّة، ١٩٩١م، ص ١٧١.

(٤) المرجع نفسه، ص ١٧٠.

(٥) بسّام داود عجك: الحوار الإسلاميّ المسيحيّ، مرجع سابق، ص ١٧٧.

الجاثليق طيماثاوس، وحوار الخليفة العبّاسي هارون الرشيد مع طبيبه الخاصّ، وحوارات مع فلاسفة وقسّيسين والعلماء المسلمين.

ب - الحوارات الجماعيّة

هذه الحوارات هي أشبه ما تكون بالندوات والمؤتمرات وحلقات البحث في أيّامنا هذه، وتعتبر «من أهمّ الحوارات التاريخيّة بين المسلمين والمسيحيّين وذلك لعدّة أسباب، منها:

- نوعيّة المتحاورين من حيث المكانة العلميّة والتعمّق الكثير في أديانهم.
- الجوّ الذي تقوم فيه هذه الحوارات، حيث يمكن أن يتجمّع عدد كبير من العلماء والمفكّرين من كلا الطرفين، وأحيانًا تكون هذه الحوارات على مرأى ومسمع الجماهير المسلمة والمسيحيّة»[٦].

ونذكر من هذه الحوارات الجماعيّة:

١ - الحوارات التي كانت تجري في مجلس الخليفتين الأمويّين معاوية بن أبي سفيان (ت ٦٠هـ/ ٦٨٠م) وعبد الملك بن مروان (ت ٨٦هـ/ ٧٨٥م).

٢ - حوار عليّ الرضا (ت ٢٠٣هـ/ ٨١٨م) وجاثليق في مجلس الخليفة العبّاسيّ المأمون.

٣ - حوار بين أبي يزيد البسطامي (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٥م) وقسّيس ورهبانه في أحد الأديرة في الشام.

٤ - حوار بين أبي الحسن الأشعريّ (ت ٣٢٤هـ/ ٩٣٦م) وبعض علماء المسلمين من جهة وفيلسوف نصرانيّ في بغداد.

٥ - حوارات في عهد الخليفة الفاطميّ المعزّ لدين الله (ت ٣٦٥هـ/ ٩٥٧م).

٦ - حوارات في عهد ملوك التتار.

---

(٦) المرجع السابق، ص ١٦٨.

ج - الرسائل المتبادلة

تعتبر الرسائل المتبادلة بين المسلمين والمسيحيّين من أهمّ الحوارات بينهم، وهي حوارات فرديّة في الوقت نفسه، نذكر منها على سبيل المثال: رسالة عبدالله بن إسماعيل الهاشميّ إلى عبد المسيح الكنديّ، ورسالة القاضي أبي الوليد الباجيّ إلى راهب فرنسيّ، ورسالة ابن تيميّة إلى سرجواس ملك قبرص، ورسالة الشيخ الحرّانيّ إلى أسقف مدينة طَرْكونة.

ولا شكّ أنّ هذه الحوارات على تنوّعها كانت ترتكز من قبل المسلم على منهج رَسَمه له القرآن الكريم والسنّة النبويّة الشريفة.

العناصر التي ينبغي توافرها في قضيّة الحوار عامّة

أوّلًا: شخصيّة الإنسان المحاور المسلم

١ - الإيمان العميق بمبادئ الإسلام وأهدافه

يُطلب من المسلم المحاور أن يكون مؤمنًا بالله ورسوله وكتابه، وأن يتّقي الله، ويتواضع لله، ويثق بنصره، ويعتزّ بالحقّ ويتشبّث به.

كذلك على المحاور أن يتأدّب بأخلاق الإسلام، ويتأسّى بسيرة النبيّ ﷺ وسيرة صحابته الكرام في الحوار، ومخاطبة الناس من منطلق الإيمان بوحدة التنوّع في المجتمع الإسلاميّ؛ يقول ﷺ «كلّكم لآدم وآدم من تراب».

٢ - العلم الواسع بالإسلام وأحكامه والمسيحيّة ومبادئها

لا يجوز للمحاور المسلم أن يحاور المسيحيّ إذا لم يكن على علم واسع أوّلًا بالدين الإسلاميّ، وثانيًا بالدين المسيحيّ، ومطلوب منه أن يكون عالمًا بالعصر، فقيهًا بقضاياه ومشاكله، ومنفتح العقل. وعندما أقف عند معرفة المحاور المسلم للمسيحيّة نجد معرفة بعضهم «عن المسيحيّة تكاد تنحصر بالنصّ القرآنيّ، أمّا دراسة اللاهوت المسيحيّ وفلسفته

فكانت في معظم الأحيان غائبة عن ثقافة المحاور المسلم»[٧]. ولا يجوز أن لا يعرف المحاورُ الآخرَ لأنّ الجهل «عدوّ الحوار وعدوّ السلام، فاحترام الآخر لا يكون إلّا على أساس معرفته حقّ المعرفة، فالمعرفة طريق المشاركة في صنع المستقبل»[٨].

٣ - الحكمة الشاملة

إنّ مَن يعود إلى القرآن الكريم يجد كلمة الحكمة ترد في مواضع كثيرة فيه، ويرى أنّ كثيرًا من الأنبياء تمتّعوا بالحكمة ومنهم نبيّ الله داود، وعيسى عليه السلام؛ يقول سبحانه وتعالى ﴿ولمّا جاء عيسى بالبيّنات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبيّن لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتّقوا الله وأطيعون﴾[٩]. ومن بين عباد الله الصالحين الذين اختصّهم الله بالحكمة لقمان الحكيم.

إنّ مَن يريد حوارًا هادفًا جادًّا عليه أن يكون حكيمًا، لأنّ «الحكمة هي جماع العلم والمعرفة، ومن عناصرها الفطنة، وحسن الفهم، وعمق الوعي، وسعة الإدراك، والرشد، والتنمية، والقصد، والاعتدال»[١٠].

يقول سبحانه وتعالى ﴿يؤتي الحكمة مَن يشاء، ومَن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا﴾[١١].

---

(٧) محمّد السماك: «الحوار المسيحيّ الإسلاميّ» وجهة نظر إسلاميّة»، في المسيحيّة والإسلام، مرايا متقابلة، مركز الدراسات المسيحيّة الإسلاميّة، جامعة البلمند، ١٩٩٧م، ص ١٥٧.

(٨) سعود المولى: الحوار الإسلاميّ المسيحيّ ضرورة المقامرة، بيروت، دار المنهل اللبنانيّ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص ٤١.

(٩) سورة الزخرف، آية ٦٣.

(١٠) عبد العزيز بن عثمان التويجري: الحوار من أجل التعايش، القاهرة، بيروت، دار الشروق، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص ١٥.

(١١) سورة البقرة، آية ٢٦٩.

٤ - الحرّيّة الفكريّة

ينبغي أن يؤمَّن المناخ الفكريّ الهادئ للحوار وذلك من خلال إقامة جسور من الثقة بين الأطراف المتحاورة، والاحترام المتبادل، والبعد عن الإرهاب الفكريّ والنفسيّ، ونبذ التعصّب والكراهية. إنّها الصورة العامّة التي يعطيها المجتمع عن العلاقات السائدة بين أفراده.

يقول سبحانه وتعالى ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تَبَرُّوهُم وتقسطوا إليهم إنّ الله يحبّ المقسطين﴾[١٢].

فالتوجيه القرآنيّ هنا «يرقى من مستوى نبذ التعصّب والكراهية إلى مقام أرفع، وهو البرّ بالناس كافّة، ومعاملتهم بالقسط - وهو العدل - جميعًا. والبرّ هو الإحسان بكلّ دلالاته الأخلاقيّة واللغويّة»[١٣]، والسعي إلى نبذ كلّ مظاهر ثقافة الكراهية بين الأديان، والتعصّب بين أتباعها.

ويمكن أن نرى هذه النماذج بوضوح في القرآن الكريم، ومن خلال سيرة النبيّ محمّد ﷺ «فالقرآن يعرض أمرًا واضحًا في الحوار بين النبيّ محمّد ﷺ وبين الأطراف الأخرى التي يحاورها خلال مسيرة الدعوة، وفي هذا الأمر يقول: إنّ الرسول بشر مثل سائر البشر ولم يتفضّل عليهم إلّا بتلك الرسالة الربّانيّة، ومهمّة التبليغ والتوضيح وحسب. فبهذا العرض تزول كلّ مظاهر السيطرة أو التعالي، أو عمليّة الاحتواء بسبب الصفات أو الألقاب أو الإيحاءات التي قد تعرض من قبل المحاور لأجل الهيمنة على الطرف المقابل»[١٤]. وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى موضحًا هذه النقطة ﴿قل إنّما أنا بشر مثلكم يُوحَى إليَّ إنّما إلهكم إله واحد﴾[١٥].

---

(١٢) سورة الممتحنة، آية ٨.

(١٣) عبد العزيز بن عثمان التويجري: الحوار من أجل التعايش، مرجع سابق، ص ١٥.

(١٤) بسّام داود عجك: الحوار الإسلاميّ المسيحيّ، مرجع سابق، ص ١٥١.

(١٥) سورة الكهف، آية ١١٠.

فإذا كان مطلوب من الرسول محمّد ﷺ أن لا يمارس هيمنة ولا سلطة ولا تكبّرًا على المدعوّين، بل يترك لهم الحرّيّة والاستقلاليّة في التفكير، فمن باب أولى أن ينطبق هذا على المسلم الذي يحاور الآخرين.

ثانيًا: شخصيّة الإنسان المحاور غير المسلم

يطلب إلى المحاور غير المسلم أن يكون لديه الرغبة الواضحة في الحوار، ونشدان الحقيقة، والاعتراف بالحقّ إذا ظهر، وعدم المعاندة، وأن يكون على علم بالإسلام، وبالأديان الأخرى، فالحقيقة ينبغي أن تنشد ويبحث عنها ويسعى إليها، وأن يقصد ما فيه الصالح العامّ من شتّى الطرق وبمختلف الوسائل التي تحقّق مصالح العباد والبلاد.

وأن يكون الحوار صيغة جامعة، وأسلوبًا من أساليب التقارب والتجاذب والتفاعل، وإحقاق الحقّ، وإبطال الباطل.

ثالثًا: إيجاد المناخ الهادئ للتفكير المستقلّ

يحتاج المحاورون إلى بيئة هادئة بعيدة عن كلّ المؤثّرات الداخليّة والخارجيّة، وخصوصًا ما يحمله كلّ طرف تجاه الآخر من انفعالات، ومن صورة مسبقة مرسومة في الأذهان لا يحيدون عنها.

فالحوار يتطلّب الاحترام المتبادل، والثقة بالآخر، ونشدان الحقيقة، والإنصاف والاعتدال.

رابعًا: العلم بموضوعات الحوار

لا بدّ لكلّ مَن يحاور أن يكون على معرفة بموضوعات الحوار، لأنّ الجهل وعدم المعرفة قد يؤدّي إلى مهاترات وشتائم ليغطّي فيها كلّ واحد عجزه وجهله.

وينبغي أن تكون موضوعات الحوار حول كلّ ما فيه مصلحة الفرد والجماعة، «وحينما يتعلّق الأمر بالحوار الإسلاميّ المسيحيّ لا ينبغي الدخول في مناقشة مسائل الاعتقاد على حساب قضايا عمليّة تعود

معالجتها بالنفع والفائدة على الطرفين، لا تهرّبًا، ولكن لأنّ مثل هذه المناقشة لا فائدة فيها وهي أقرب إلى الجدل العقيم واللجاج السقيم، ولذلك فإنّ من هذه القضايا التي يجب التركيز عليها، التعاون من أجل إقرار المبادئ والتعاليم الدينيّة المشتركة التي تحثّ على احترام الحياة الإنسانيّة، وعلى مراعاة حرمة الإنسان، وعلى السعي في الأرض من أجل الخير والأمن والسلام، وعلى محاربة الإلحاد والرذيلة والفساد والظلم والطغيان، وعلى دعوة الناس إلى قِيَم المحبّة والتسامح والإخاء الإنسانيّ، وهذه مساحات شاسعة للعمل المشترك من أجل الإنسان، وفي خدمة البشريّة، وإنقاذ العالم من الشرور والموبقات»[١٦].

منهج الحوار من خلال القرآن الكريم والسنّة النبويّة الشريفة

يقوم الحوار الإسلاميّ المسيحيّ على مجموعة من المبادئ التي ينبغي التقيّد بها، والسير على نهجها انطلاقًا من تعاليم القرآن الكريم والسنّة النبويّة وهي كما يلي:

المبدأ الأوّل: الدعوة إلى الله تعالى

يرتكز الحوار الإسلاميّ المسيحيّ، وتقوم مشروعيّته من الكتاب والسنّة، على مبدأ إسلاميّ واضح هو مبدأ الدعوة إلى الله تعالى ودين الإسلام.

ويعتبر الحوار التطبيق والممارسة العمليّة لمبدأ الدعوة الإسلاميّة، مع القريب والبعيد، والعدوّ والصديق، ومع الناس كافّة، ومع أصحاب العقائد والتيّارات الفكريّة على اختلافها.

يقول سبحانه وتعالى ﴿ولتكن منكم أمّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر أولئك هم المفلحون﴾[١٧].

---

(١٦) عبد العزيز عثمان التويجري: الحوار من أجل التعايش، مرجع سابق، ص ٢٠.
(١٧) سورة آل عمران، آية ١٠٤.

ويقول تعالى ﴿ومن أحسن قولًا ممّن دعا إلى الله وعمل صالحًا وقال إنّني من المسلمين﴾[١٨].

فالمهمّة الأولى في قضيّة الدعوة إلى الله تعالى هي «عرض الإسلام بجوهره الحقيقيّ، ونبذ القشيب، ووضوح رسالته، وإبراز جماله، وشموله لكلّ جوانب الحياة الإنسانيّة الخاصّة والعامّة، وصلاحيّة رسالته لكلّ زمان ومكان، وأنّ رسالة الإسلام ما جاءت إلّا لتسعد الإنسانيّة جمعاء، وتوضح لهم سبل النجاة، والأمن، والاطمئنان، والعيش بسلام ومحبّة وإخاء»[١٩].

يقول سبحانه وتعالى عن مهمّة الرسول ﷺ ﴿وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين﴾[٢٠].

المبدأ الثاني: الحكمة والموعظة الحسنة

إذا أردت أن تحاور إنسانًا أو طرفًا ما، فقد تلجأ إلى العنف واستخدام أقسى الأساليب، وأشدّ الكلمات مع خصمك، مجرّحًا، مسفّهًا، باحثًا عن الأخطاء، غير محترم لإنسان أمامه في شعوره وعاطفته وعقيدته ومقدّساته، فمثل هذه الطريقة لن توصل إلى نتيجة، بل ستزيد الأحقاد والبغضاء، وستكون مجال تباعد لا تقارب.

يقول سبحانه وتعالى ﴿ولو كنتَ فظًّا غليظَ القول لانفضّوا من حولك﴾[٢١]، ويقول النبيّ محمّد ﷺ «يسّروا ولا تعسّروا وبشّروا ولا تنفّروا»[٢٢].

أمّا حين يلجأ المحاور إلى حوار هادئ، وصين، فيه لين ومحبّة،

---

(١٨) سورة فصلت، آية ٣٣.
(١٩) بسّام داود عجك: الحوار الإسلاميّ المسيحيّ، مرجع سابق، ص ١٥٥.
(٢٠) سورة الأنبياء، آية ١٠٧.
(٢١) سورة آل عمران، آية ١٥٩.
(٢٢) رواه البخاري في الصحيح.

وكلام طيّب، ومخاطبة لفطرة الإنسان ووجدانه، بعيدًا عن العنف والصدام، فهذا بحدّ ذاته «تعبير عن نضج فكريّ ووعي حضاريّ، وتصميم على البحث عن أقوم السبل لتجنّب الخسائر، ولتفادي المخاطر، وللتغلّب على المشكلات، ولمعالجة الأزمات وإدارتها، بعقل منفتح، وبضمير حيّ»[٢٣].

فالإسلام في هذا المجال له مبادئ ومواقف ورؤى حيث إنّ تعاليم «الدين الحنيف تحثّ على التعاون من أجل كلّ ما فيه الخير والحقّ والفضيلة والشرف والعزّة والكرامة، وفي سبيل تحقيق كلّ ما فيه السعادة لبني البشر كافّة»[٢٤].

والحوار الهادئ الذي ينبذ العنف، وينادي به الإسلام يتركّز على النقاط التالية:

١ - الحوار بالتي هي أحسن وبالموعظة الحسنة

إنّ الموعظة الحسنة تعتمد على وسائل وأساليب، تساعد مَن يحاور أن يقبض على نواحي الأنفس، وتحريك العواطف والانفعالات الإنسانيّة، وتوجيهها إلى طريق الحقّ والخير. إنّها «تليّن القلوب القاسية بقوّة تأثيرها، فتجعلها طيّعة للاستجابة إلى الحقّ، وتصرف عنها كثيرًا من عقد العناد والكبر والحسد وسائر انحرافات النفس والفكر، وذلك لأنّ الأنفس إذا استحسنت أو استعذبت شيئًا من الأشياء مالت إليه، وانجذبت نحوه، وانفعلت به انفعال مسرّة، ومع الميل والمسرّة يتوالد الحبّ، وبالحبّ تنحلّ معظم العقد، وأهمّها العقد التي تنشأ عن النفور والكراهية وعدم الإلف، ومتى انحلّت العقد النفسيّة عاد الإنسان إلى فطرته الصافية التي تقبل الحقّ وتستجيب له»[٢٥].

---

(٢٣) عبد العزيز عثمان التويجري: الحوار من أجل التعايش، مرجع سابق، ٢١.

(٢٤) المرجع نفسه، ص ٥٠.

(٢٥) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: أسس الحضارة الإسلاميّة ووسائلها، دمشق، بيروت، دار القلم، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ٣٥٨.

والموعظة الحسنة تتطلّب من المحاور أن تقوم موعظته على الصحّة والالتزام بها. ويسلك في عرضها الأصول المنطقيّة الفكريّة السليمة، ويتجرّد عن الأغراض الشخصيّة، وأن يكون في ذاته، وأخلاقه وأعماله قدوةً حسنة، ويتّخذ وسائل الرفق واللين في الحوار، ويُنْزل الناس منازلهم.

يقول سبحانه وتعالى ﴿أُدعُ إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادِلْهم بالتي هي أحسن﴾[٢٦].

ويقول تعالى ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيّئة إدفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليّ حميم﴾[٢٧].

ويقول سبحانه وتعالى ﴿ولا تُجادلوا أهل الكتاب إلّا بالتي هي أحسن﴾[٢٨].

ماذا نرى في هذه الآيات من تعاليم للمحاورين؟

نرى استخدام الحكمة في الحوار، وهي إحدى صفات الحوار الجادّ الهادف، والتي تقوم على العلم والمعرفة، واحترام الآخر وفهمه، والفطنة والذكاء وعمق الوعي، وسعة الإدراك، والإقناع الفكريّ المنطقيّ الحكيم، بالحجج والبراهين المثبتة للحقائق، وبأساليب تتلاءم والحالة الفكريّة والنفسيّة للمتحاورين.

أمّا الموعظة الحسنة، فكلّما ترتبط الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، فكذلك الحوار قرين الحكمة والموعظة الحسنة في جميع الأحوال، وهذا الارتباط من قبيل ارتباط المنهج والمضمون بالوسيلة والأسلوب.

---

(٢٦) سورة النحل، آية ١٢٥.
(٢٧) سورة فصلت، آية ٣٤.
(٢٨) سورة العنكبوت، آية ٤٦.

أمّا الحوار بالتي هي أحسن فهدفه «تعاون الفريقين المتناظرين على معرفة الحقيقة بتبصير كلّ منهما صاحبه بالأماكن المظلمة عليه، والتي خفيت عنه حينما أخذ ينظر باحثًا عن الحقيقة، وذلك عندما لا يكون أحدهما واقفًا على الحقيقة المبيّنة وقوفًا قطعيًّا غير قابل للنقض، أمّا في هذه الحالة فإنّ هدف الجدال بالتي هي أحسن إنّما هو تبصير الواقف على الحقيقة أخاه المناظر له بها، والأخذ بيده في طرق الاستدلال الصحيح لإبلاغه وجه الحقّ المشرق، وذلك باستخدام الحوار البريء من التعصّب، الخالي من العنف والانفعال، المتمشّي وفق الأصول العامّة للحوار، الذي يستهدف فيه كلّ من الفريقين المتحاورين الوصول إلى الحقيقة، وكأنّه جاهل بها خالي الذهن والنفس من أيّ امتساك سابق بوجهة من وجهات النظر المختلفة، وذلك ابتعادًا عن كلّ أجواء التعصّب والأنانيّة التي تصرف النفوس والأفكار عن تفهّم الحقيقة، أو التسليم بها، ولو انكشفت لها واضحة جليّة»[٢٩].

فالحوار بالتي هي أحسن، هو حوار هادئ، وأسلوب سلميّ، بعيد عن العنف والصخب، هذا الحوار أو الجدل بالتي هي أحسن هامّ بالنسبة إلى الأطراف المتحاورة، فإذا «كانت المجادلة وهي مقارعة الحجّة بالحجّة، تأتي في المرتبة الثانية من مراتب الدعوة إلى الله، وكما أنّ الدعوة لا تتمّ على الوجه الشرعيّ، إلّا إذا كانت صادرة عن الحكمة ومقترنة بها، كذلك الحوار لا يكون إلّا بالتي هي أحسن، أي أحسن الأساليب، وأصحّ الطرق»[٣٠]، وفي المنهج، أو الفكرة، أو انتقاء العبارات.

وعندما يختار القرآن الكريم «مبدأ الحوار الهادئ والأسلوب السلميّ، وطريقة اللين، يشير إلى نتائج هذا المنهج، وهي نتائج تكاد

(٢٩) عبد الرحمن حسن حبنكة: أسس الحضارة الإسلاميّة ووسائلها، مرجع سابق، ص، ص ٢٦٥-٢٦٦.

(٣٠) عبد العزيز عثمان التويجري: الحوار من أجل التعايش، مرجع سابق، ص ١٥.

تكون خياليّة: إنّها تحوّل العدوّ إلى صديق، والمبغض إلى محبّ، والبعيد إلى قريب. وبهذا كلّه يتحقّق للحوار هدفه، وهو الوصول إلى الإيمان، أو إلى أكبر قدر من الفهم المشترك في الأسس والأهداف»[٣١].

ألا تروا معي أنّ الحوار على هذا النحو الراقي، ومن أجل هدف سام، هو ضرورة من الضرورات التي تقتضيها سِيَر الحياة على خطوط سويّة، وتفرضها طبيعة العمران البشريّ، وألا تروا معي أيضًا أنّ مثل هذا الحوار دافع للنشاط الإنسانيّ، ويشكّل بيئة إبداع في شتّى المجالات، وتحصين للمجتمع المتعدّد ضدّ المخاطر التي تتهدّده وخصوصًا ما يتعلّق منها بالصراعات الطائفيّة والمذهبيّة؟

٢ - إعتماد المعقل والتفكير السليمين

يوجّه القرآن الكريم المحاور للآخر، أن تكون لديه الحجّة والبرهان على ما يقوم، وأن يتبع المنطق العلميّ والعقلانيّ، والتسلسل المنطقيّ للأفكار مع الأدلّة عليها.

فمنهجيّة البحث عند علماء المسلمين قامت على قاعدة: «إن كنت ناقلًا فالصحّة أو مبدعًا فالدليل»، أي إذا التزمت الطرق المنطقيّة السليمة فما عليك إلّا[٣٢]:

أ - تقديم الأدلّة المثبتة أو المرجّحة للأمور المدعّاة.

ب - إثبات صحّة النقل للأمور المنقولة المرويّة.

فمرحبًا بالحوار إذا كان على هذه الصورة من العقلانيّة، بحيث يكون نتاجه الخير الوفير، والسعادة والتعاون على البرّ والتقوى لا على الإثم والعدوان.

٣ - التجرّد من الأحكام المسبقة والتعصّب لها

يرسم بعض المحاورين للآخر صورة ذهنيّة مسبقة، أو حكمًا على

(٣١) بسّام داود عجك: الحوار الإسلاميّ المسيحيّ، مرجع سابق، ص ١٥٧.

(٣٢) عبد الرحمن حسن حبنكة: أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، مرجع سابق، ص ٣٦٨.

الآخر، ولا يريدون أن يحيدوا عن ذلك، وقد يرى بعض الناس أنّهم على الحقّ والهدى، وغيرهم على الضلال. إنّ مثل هذه الأمور عندما تطلق قبل البحث وإقامة الحجّة والبرهان، والإتيان بالأدلّة، تحول دون الوصول إلى تحقيق أهداف الحوار، وتشكّل حاجزًا نفسيًّا يصعب اختراقه.

. وعندما نقول التجرّد من الأحكام المسبقة الخاصّة، يعني ذلك «وضع مبدأ الشكّ في كلّ شيء يعرض مبدئيًّا، من قبل طرفَي الحوار، ويوخي مبدأ الشكّ هذا بضرورة أن يعيد كلّ طرف النظر في موقفه وأفكاره التي يحملها، أي مراجعة الذات بما تحمله من أفكار ومبادئ، فليس لدى أحد الفريقين حكم سابق على الطرف الآخر بأنّه على الهدى، أو على الضلال»[٣٣].

ويتّضح هذا الأمر في قوله تعالى ﴿وإنّا وإيّاكم لعلى هُدى أو في ضلال مُبين﴾[٣٤].

وفي هذا التوجيه للمحاور غاية التخلّي عن التعصّب لأمر سابق، وكمال الرغبة بتشدان الحقيقة أنّى كانت.

٤ – مواجهة الطرف الآخر من خلال أفكاره

يُطلَب إلى المتحاورَين سواء المسلم أو المسيحيّ، أن يقدّم كلّ منهما أدلّته وبراهينه، ويقول للآخر: هات ما عندك من أفكار، وحقائق، وأدلّة؟ فهذه كلّها أسلحة المحاورين.

فالمسلم، كما يوجّهه القرآن الكريم، عليه أن يعرض ما لديه من أفكار «إذا كان لديكم – يخاطب الطرف الآخر – طريق أفضل، أو عقيدة أصحّ، فنحن على استعداد لقبولها وتلقّيها»[٣٥]. ولا يجوز «الطعن بأدلّة الآخر إلّا ضمن الأصول المنطقيّة، أو القواعد المُسلَّم بها لدى الفريقين

(٣٣) بسّام داود عجك: الحوار الإسلاميّ المسيحيّ، مرجع سابق، ص ١٥٨.
(٣٤) سورة سبأ، آية ٢٤.
(٣٥) بسّام داود عجك: الحوار الإسلاميّ المسيحيّ، مرجع سابق، ص ١٥٩.

المتحاورين»[٣٦].

٥ - عدم إثارة الطرف الآخر

إنّ ما نريده من الحوار أن يكون قوّة وسلاحًا من أسلحة السجال الثقافيّ والحضاريّ، وتبليغ الرسالة، وإسماع صوت الآخر وسماعه، وكسب الأنصار، وإظهار الحقيقة، ودرء المفاسد، والتوادّ والتحابب، وهذا أمر حميم جدًّا قصره الإسلام على المسيحيّين دون غيرهم من أهل الكتاب، حيث يقول سبحانه وتعالى ﴿لَتَجِدَنَّ أقربهم مودّةً للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى ذلك بأنّ منهم قسّيسين ورهبانًا وأنّهم لا يَستكبرون﴾[٣٧].

فلا يجوز أن نثير الآخر في حوارنا معه، لأنّ هذه الإثارة ستولّد الانفعال، وبالتالي فإنّ الحوار سينحرف عن منهجه، وسيباعد وجهات النظر، وستكون القطيعة، لذلك لا شتيمة، ولا كلام نابٍ، بل قول مهذّب، بعيد عن الطعن والتجريح، والهزء والسخريّة، واحتقار وجهة النظر. يقول سبحانه وتعالى ﴿ولا تسُبُّوا الذين يَدْعُون مِن دُون الله فيسُبّوا اللهَ عَدْوًا بغير عِلم﴾[٣٨].

قال العلماء في هذه الآية «حكمها باقٍ في هذه الأمّة على كلّ حال... فإذا خيف أن يُسبَّ الإسلام أو النبيّ عليه السلام أو الله عزّ وجلّ، فلا يحلّ لمسلم أن يسبّ صلبانهم ولا دينهم ولا كنائسهم، ولا يتعرّض إلى ما يؤدّي إلى ذلك، لأنّه بمنزلة البعث على المعصية»[٣٩].

---

(٣٦) عبد الرحمن حسن حبنكة: أسس الحضارة الإسلاميّة ووسائلها، مرجع سابق، ص ٣٧١.

(٣٧) سورة المائدة، آية ٨١.

(٣٨) سورة الأنعام، آية ١٠٨.

(٣٩) أبو عبدالله محمّد بن أحمد الأنصاريّ القرطبيّ: الجامع لأحكام القرآن، مج، تصحيح أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، لا.م، مطبعة دار الكتب، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م، ص ٦١.

فالإسلام يخاطب المسلم بأنّه إذا سلك محاوره مسالك غير مهذّبة، «فليتقيّد بكلّ قول مهذّب، وليسلك كلّ طريقة هي أحسن وأفضل فكرًا وقولًا، فالمطلوب من المسلم، أن يكون في مجادلته على حالة أرقى وأحسن باستمرار من الحالة التي يكون عليها مَن يجادله، أدبًا وتهذيبًا، أو قولًا وفكرًا»(٤٠).

٦ - الدعوة إلى ما يجمع لا ما يفرّق

يشار إلى المسيحيّين وغيرهم من أصحاب الديانات بأهل الكتاب، وهو تعبير قرآنيّ يدلّ على النظرة الإسلاميّة السمحة والمعتدلة تجاه الأديان السماويّة، والتي ترفعها عن مستوى الأديان المحلّيّة التقليديّة وأديان الشرك.

فالأديان السماويّة تشترك جميعها في أسس العقيدة، مثل الإيمان بوجود الله ووحدانيّته، وأنّه هو الأوّل والآخر المنزّه عن كلّ نقصان وأنّه هو خالق كلّ شيء، والإنسان خليفة الله على الأرض، فهو ينفّذ إرادة الله، وهذه الخلافة للإنسان ترى الأديان السماويّة أنّها لا تتمّ إلّا بأداء العبادات لله، وتتّفق هذه الأديان على أنّ سعادة الإنسان في الدنيا وفلاحه في الآخرة لا يتمّ إلّا باتّباع هذه الأسس الإيمانيّة. وترى أنّ المعتقدات الدينيّة الأساسيّة نِعَم أنعمها الله على الناس تفضّلًا عن طريق الوحي.

بالإضافة إلى الأسس المشتركة بين الأديان السماويّة، هناك أهداف مشتركة لهذه الأديان السماويّة، تتطلّب الرعاية والحماية في موضع المصالح المرسلة التي ترد في خمس خصال: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال.

والديانات السماويّة ذات أصل واحد، تنبع من نبع واحد، يدعو إلى البحث عن جوامع مشتركة لما جاءت به هذه الرسالات، فالإسلام يضع

---

(٤٠) عبد الرحمن حسن حبنكة: أسس الحضارة الإسلاميّة ووسائلها، مرجع سابق، ص ٣٦٧.

نقاطًا للتقارب بين المسلم والمسيحيّ وغيره من أهل الكتاب وهي:

أ - الدعوة إلى الكلمة السواء:

قال سبحانه وتعالى ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألّا نعبد إلّا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتّخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله﴾(٤١).

فالدعوة إلى الكلمة السواء هي الدعوة إلى أهل وأحبّة إلى كلمة الحقّ والعدل والإنصاف، والخضوع لإله واحد خالق.

ب - الإيمان بالرسل والكتب المنزلة:

قال سبحانه وتعالى ﴿آمَنَ الرسول بما أُنزل إليه من ربّه والمؤمنون كلٌّ آمَنَ بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرّق بين أحد من رسله﴾(٤٢).

وقال سبحانه وتعالى ﴿قولوا آمنّا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيّون من ربّهم لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾(٤٣).

وقوله تعالى ﴿شَرَعَ لكم من الدين ما وصّى به نُوحًا والذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه﴾(٤٤).

لدى استقراء هذه الآيات نرى أنّها دعوة للجميع بأن يعودوا من خلال الحوار الإسلاميّ المسيحيّ إلى حقيقة الأديان التي جاءت بها الأنبياء والرسل الكرام.

المبدأ الثالث: لا إكراه في الدين

---

(٤١) سورة آل عمران، آية ٦٤.
(٤٢) سورة البقرة، آية ٢٨٥.
(٤٣) سورة البقرة، آية ١٣٦.
(٤٤) سورة الشورى، آية ١٣.

لا يجوز في عمليّة الحوار الإسلاميّ المسيحيّ لأيّ طرف محاور، ولا يحقّ له أن يُكره الآخر أو يجبره، أو يرهبه ليحوّله عن معتقده، فالحوار مناخه الحرّيّة الفكريّة.

لقد وقف الإسلام «حيال الأديان الأخرى جميعها وحيال أهلها موقفًا إنسانيًا كريمًا يتّسم بالتسامح، واحترام عقائد هذه الأديان وشعائرها، وعلى أساس هذا الموقف أقام الإسلام جميع ما قرّره من قواعد وما سنّه من مبادئ لتنظيم العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين»[٤٥].

فالإسلام لا يُكْرِه أحدًا على ترك دينه، واعتناق الإسلام، وفي هذا يقول سبحانه وتعالى ﴿لا إكراه في الدين قد تَبيّن الرُّشد من الغَيّ﴾[٤٦].

ويقول سبحانه وتعالى مخاطبًا الرسول محمّد ﷺ ﴿ولو شاء ربّك لآمن مَن في الأرض كلّهم جميعًا، أفأنت تُكْرِه الناس حتّى يكونوا مؤمنين﴾[٤٧].

ويقول سبحانه وتعالى ﴿قل يا أيّها الناس قد جاءكم الحقّ من ربّكم فمَن اهتدى فإنّما يهتدي لنفسه ومَن ضلّ فإنّما يَضِلُّ عليها وما أنا عليكم بوكيل﴾[٤٨].

نرى من هذه الآيات الكريمة أنّه «لا يعقل أن يستخدم الإكراه في شؤون العقيدة، فالعقيدة أمر نفسيّ لا يعرفه ولا يسيطر عليه غير صاحبه، ولا يستطيع أيّ ضغط خارجيّ أن يمحوه أو يستدلّ به غيره، وكلّ ما يستطيع الضغط أن يفعله هو أن يرغم الشخص على اللفظ باللسان،

---

(٤٥) عليّ عبد الواحد وافي: بحوث في الإسلام والاجتماع، ج١، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٧م، ص ٦٣.

(٤٦) سورة البقرة، آية ٢٥٦.

(٤٧) سورة يونس، آية ٩٩.

(٤٨) سورة يونس، آية ١٠٨.

ومجرّد اللفظ باللسان لا يقوى على محو عقيدة قديمة ولا على إنشاء دين جديد»[٤٩].

ولعلّنا نذكر قصّة الخليفة عمر بن الخطّاب مع الامرأة العجوز النصرانيّة، حيث قال لها «أسلمي أيّتها العجوز تَسْلمي، إنّ الله بعث محمّدًا بالحقّ». قالت: أنا عجوز كبيرة، والموت إليَّ أقرب! فقال عمر: اللهمّ اشهد[٥٠]. وتلا قوله تعالى ﴿لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغيّ﴾[٥١].

المبدأ الرابع: إدراك أنّ الاختلاف سنّة الكون

نعيش في مجتمع متعدّد الطوائف والمذاهب في لبنان وغيره من البلدان العربيّة والإسلاميّة، وكذلك كان المجتمع في ظلّ الدولة الإسلاميّة، وهذا التعدّد والاختلاف هو من مشيئة الله في خلقه. يقول سبحانه وتعالى ﴿ومِنْ آياته خَلْقُ السموات والأرض واختلافُ ألْسِنتكم وألوانكم إنّ في ذلك لآياتٍ للعالمين﴾[٥٢].

ويقول سبحانه وتعالى ﴿ولو شاء ربّك لآمن مَن في الأرض كلّهم جميعًا أفأنت تُكره الناس حتّى يكونوا مؤمنين﴾[٥٣].

فالحوار الإسلاميّ «يتطلّب وجود تباينات واختلافات في الموقع والفكر وفي الاجتهاد وفي الرؤى. وإنّ ذلك انعكاس طبيعيّ للتنوّع الإنسانيّ الذي يعتبر في حدّ ذاته آية من آيات القدرة الإلهيّة على الخلق ومظهر من مظاهر عظمته»[٥٤].

---

(٤٩) علي عبد الواحد وافي: بحوث في الإسلام والاجتماع، مرجع سابق، ص ٦٤.
(٥٠) القرطبيّ: الجامع لأحكام القرآن، ج٣، مرجع سابق، ص ٢٨٠.
(٥١) سورة البقرة، آية ٢٥٦.
(٥٢) سورة الروم، آية ٢٢.
(٥٣) سورة يونس، آية ٩٩.
(٥٤) محمّد السمّاك: «الحوار المسيحيّ الإسلاميّ، وجهة نظر إسلاميّة» في المسيحيّة والإسلام، مرايا متقابلة، مرجع سابق، ص ١٥٤.

والاختلاف لا ينبغي أن يكون مجالًا للتفرقة بل للمحبّة والتعاون والصداقة، فالقبول بالتعدّد والاختلاف معًا ركيزة من ركائز الحوار، ومن العبث إلغاء الاختلاف، كما نرى في الآيات القرآنيّة، ومن المستحيل تحويل الاختلاف إلى وفاق مطلق، ولكن من الممكن جدًّا، بل من الضروريّ عدم تحويل الاختلاف إلى خلاف.

ولو وجعنا إلى عهد الرسول محمّد ﷺ وما أرساه في مجتمع المدينة المنوّرة وما أقامه من نسق تعاونيّ بين شتّى فئات الناس من مسلمين ومسيحيّين وغيرهم، ومن اعتراف بالتعدّديّة الدينيّة حيث برز ذلك من خلال تلك الصحيفة التي دعيت بصحيفة المدينة، وكانت أوّل وثيقة مكتوبة في تاريخ المسلمين، هذه الوثيقة التي حرّرها الرسول محمّد ﷺ وهو يرسي أسس المجتمع الإسلاميّ في المدينة «هذه الوثيقة جعلت غير المسلمين المقيمين في دولة المدينة مواطنين فيها، لهم من الحقوق مثل ما للمسلمين، وعليهم من الواجبات مثل ما على المسلمين. هذه الوثيقة تعدّ مفخرة من مفاخر الإسلام، لأنّها سبقت المواثيق العالميّة والدساتير الوطنيّة بقرون عدّة في مجال تطبيق مبدأ الحرّيّة الدينيّة في ظلّ ظروف الأمن والسلام الاجتماعيّ القائم على مبدأ الوحدة الوطنيّة بين ذوي العقائد الدينيّة المختلفة»[٥٥].

إنّ هذه الوثيقة الصحيفة هي تطبيق لمبادئ الإسلام، «فالتفرقة بين الناس فيما هو دنيويّ، حسب اعتقادهم أو جنسهم أو لونهم ليست من منهج الإسلام، إذ القاعدة هي المساواة، فالجميع في ديار الإسلام (أمّة واحدة)، كما ورد في صحيفة المدينة، (والخلق كلّهم عيال الله) بالتعبير النبويّ، فضلًا عن أنّ الجميع خلقوا من (نفس واحدة) بالتعبير القرآنيّ كما ورد في (سورة النساء آية ١، وسورة لقمان آية ٢٨)»[٥٦].

---

(٥٥) إدوار غالي الذهبيّ: أقول لدعاة الفتنة الطائفيّة، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٠م، ص ٩١.

(٥٦) المرجع نفسه، ص، ص ٩٥-٩٦.

فالصحيفة أو المعاهدة هي موقف من قِبَل الرسول محمّد ﷺ «في غاية الحكمة، بأنّه عَقَد مع اليهود معاهدة صداقة تفسح المجال للتعايش السلمي بين الديانتين، وتطبع الواقع الجديد بطابعها المتسامح المبنيّ على قاعدة متينة من مَواطن اللقاء الكثيرة المشتركة... فما دام هناك موقف مشترك يجمع بين الدعوتين... فليكن هو القاعدة التي يلتقيان عليها، ليكون الحوار في مواقع الاختلاف منطلقًا من مواقع اللقاء الذي يُهيّئ المجال للتفاهم المشترك على أسس الحوار بعيدًا عن العصبيّات والسلبيّات»[٥٧].

قد يكون من الخير لأيّ باحث أن تكون هذه الصحيفة مجال فهم للطبيعة الواقعيّة للتحرّك الرساليّ الإسلاميّ في مواقف الصراع العقيديّ والاجتماعيّ. فالباحث عليه «أن يستعرض هذه المعاهدة التي تعتبر من أعظم الوثائق الإسلاميّة للعلاقات بين الأديان... ليعرف كيف كانت المسيرة الإسلاميّة سائرة في اتّجاه اعتبار الحوار أساسًا لكلّ عوامل الصراع ومواقعه... وذلك فيما نراه فيها من التأكيد على خلق الأجواء الطبيعيّة الهادئة التي تمهّد - في المستقبل - لولادة علاقات طبيعيّة قائمة على الاحترام المتبادل دينيًّا وإنسانيًّا في نطاق لا يخضع للعاطفة بل يستند إلى الفكر والقانون»[٥٨].

ولا شكّ أنّ هذا ينطلق من أنّ «الإيمان ذو الجذر الواحد والتعابير المختلفة اتّخذه الإسلام مرتكزًا للانطلاق نحو بناء حياة إنسانيّة واحدة».

هذه الحياة الإنسانيّة الواحدة تقوم على العدل والصدق، وإيثار الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على البرّ والتقوى.

---

(٥٧) محمّد حسين فضل الله: الحوار في القرآن، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ط٥، ١٤١٧هـ/١٩٨٧م، ص ١١٨.

(٥٨) المرجع نفسه، ص ١١٨.

هذه الرؤية الإيمانيّة الإنسانيّة للعلاقة مع الآخر «وجدت أوّل تعابيرها المؤسّساتيّة في (صحيفة المدينة) التي أنشأ بها رسول الله [ﷺ] مجتمعًا واحدًا ضمّ المسلمين واليهود والمسيحيّين، وهو يكشف النوايا الحقيقيّة للإسلام الذي أقدم لأوّل مرّة في التاريخ على إنشاء مجتمع واحد مختلط، وحياة واحدة مشتركة، يقوم فيها الناس بمسؤوليّات واحدة في حياتهم الدنيا... وفي التطبيق الحياتيّ تكشف صحيفة المدينة عن الموقف الودّيّ المنفتح على جميع أشكال التعاون على المستوى الوطنيّ وعلى المستوى العالميّ»[٥٩].

من كلّ ما ذكر يظهر أنّ الاختلاف سنّة إلهيّة، ورحمة للناس، ويتلاءم مع فطرة الإنسان في قبول الآخر ومحاورته، والحوار لا يكون إلّا مع الآخر، والآخر لا يكون إلا مختلفًا وإلّا تنتفي الحاجة إلى الحوار، والاختلاف لا يؤدّي إلى الخلاف، على أن تترك الحكم لله سبحانه وتعالى فإليه المصير، ويقول سبحانه وتعالى ﴿إلى الله مرجعكم جميعًا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾[٦٠].

ويقول سبحانه وتعالى ﴿وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون الله يحكم بيننا وبينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون﴾[٦١]. فالحوار عندما نطرق بابه مسلمون ومسيحيّون فنحن أمام «جوهر ولبّ الرسالات السماويّة والفطرة الإنسانيّة وهو طريق الرشد والرشاد في الدنيا والآخرة... وذلك بأنّ الله ربّ العالمين غنيّ عن الناس، ولو شاء لما خلقهم أصلًا، ولو شاء لجعلهم أمّة واحدة... ومن حكمة الله في الخلق، وفي اختلاف الناس نعمة ورحمة ولطف إلهيّ وسنّة لا تبديل لها...»[٦٢].

---

(٥٩) محمّد مهدي شمس الدين: المسيحيّة في المفهوم الثقافيّ الإسلاميّ المعاصر، محاضرة ألقيت في المؤتمر الدوليّ في العاصمة الإيطاليّة، روما، في الفترة الممتدّة ما بين ٦ إلى ٨ مايو ٢٠٠٠م، ص، ص ١٤-١٥.

(٦٠) سورة المائدة، آية ٤٨.

(٦١) سورة الحجّ، آية ٦٨، ٦٩.

(٦٢) سعود المولى: الحوار الإسلاميّ المسيحيّ ضرورة المقامرة، مرجع سابق، ص ٣٤.

المبدأ الخامس: مبدأ الإعراض والصبر والتحمّل

عندما يصل الحوار إلى حائط مسدود، لا يوصل إلى نتائج واضحة، فمن الأولى بالمتحاورين عدم متابعة الحوار، لأنّه يصبح جدلًا عقيمًا لا فائدة منه، فهناك أهداف، وأسلوب، ومعاملة بالمثل، وأن لا يكون طعن وتشويه للدين والعقيدة والإساءة إلى الأنبياء، والتنقيص من الكتب السماويّة، فإن كان سلبًا فليكن هناك إعراض وصبر وتحمّل.

يقول سبحانه وتعالى ﴿وَدَّ كثير من أهل الكتاب لو يردُّونكم من بَعْدِ إيمانكم كُفّارًا حَسَدًا من عندِ أنفسهم من بَعد ما تبيّن لهم الحقّ فاعْفُوا واصْفَحوا حتّى يأتيَ اللهُ بأمره إنّ الله على كلّ شيء قدير﴾[٦٣]، ويقول تعالى ﴿لَتُبْلَوُنّ في أموالكم وأنفسكم ولَتَسْمَعُنّ مِن الذين أوتُوا الكتاب مِن قَبْلكم ومن الذين أشركوا أذًى كثيرًا وإن تصبروا وتتّقوا فإنّ ذلك مِن عَزْم الأمور﴾[٦٤]، وقوله تعالى ﴿لكم دينكم ولي دينِ﴾[٦٥]. وقال تعالى ﴿قل أتُحاجّوننا في الله وهو ربّنا وربّكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، ونحن له مُخْلِصون﴾[٦٦].

المبدأ السادس: العيش المشترك

يعتبر هذا المبدأ نهاية المطاف في الحوار حيث إنّه بين الحوار والعيش المشترك «رباط عضويّ، فالحوار من شأنه أن يؤكّد نقاط التلاقي بين الديانات [لا سيّما بالنسبة إلى اللبنانيّين المسيحيّين والمسلمين]. وإنّ الأمور المشتركة بين المسيحيّين والمسلمين أكثر وأهمّ بكثير من الأمور التي يختلف فيها. إنّ استشراف العناصر والمقدّمات للحوار بين الإسلام والمسيحيّة يبلغ بنا إلى معرفة وتعارف، وهما وحدهما يوصلان إلى اتّفاق على صيغة للعيش المشترك، ذلك أنّ الأمور المشتركة بينهما تشكّل

(٦٣) سورة البقرة، آية ١٠٩.
(٦٤) سورة آل عمران، آية ١٨٦.
(٦٥) سورة الكافرون، آية ٥.
(٦٦) سورة البقرة، آية ١٣٩.

الأساس الذي ترتكز عليه علاقات الأخوّة والمحبّة والتعاون، ونقطة انطلاق لبناء عيش مشترك»[٦٧].

والحوار الذي يؤدّي إلى العيش المشترك يقوم على[٦٨]:

١ - حوار الحياة حيث يعمل الناس على أن يعيشوا بروح انفتاح وحسن جوار مقتسمين أفراحهم وأحزانهم، ومشاغلهم الإنسانيّة.

٢ - حوار الأعمال: حيث يتعاون المسيحيّون والآخرون في سبيل تنمية كاملة وتحرّر للإنسان غير منقوص.

وهذان الشكلان يقابلان ما نسمّيه (العيش المشترك) وهما يعبّران عن إرادة البلوغ إلى ما يسمّيه المجمع الڤاتيكانيّ الثاني (الحوار الأخويّ) مع المسلمين وإلى عيش مشترك تسوده علاقات صداقة بين المسلمين والمسيحيّين. فإنّ صلات الحياة اليوميّة والالتزام المشترك بالعمل يفسح المجال للعمل معًا على تعزيز القِيَم الإنسانيّة والروحيّة المشتركة بين الإسلام والمسيحيّة.

ومثل هذا الحوار على مستوى الحياة والأعمال المشتركة، أي في نطاق العيش المشترك، يشدّد على أهمّيّة (التنمية العامّة، والعدالة الاجتماعيّة وتحرير الإنسان) كما تصرّح به وثيقة المجلس البابويّ.

إنّ مثل هذا العيش المشترك جرى على أرض الواقع في ظلّ الدولة الإسلاميّة فكانت الممارسة العمليّة له، انطلاقًا من أنّ الإسلام حمل لواء العيش والتعايش السلميّ المشترك بين الأديان حتّى «عندما لا يجدي

---

(٦٧) المطران بشارة الراعي: في تجديد العيش المشترك، المؤتمر الأوّل ١٢-١٤ أيّار ١٩٩٤م، مركز الدراسات والأبحاث الرعويّة، في دير مار الياس، أنطلياس، ١٩٩٤م، ص ٢٥.

(٦٨) عادل تيودور خوري: الڤاتيكان وميادئ الحوار الإسلاميّ المسيحيّ، في تجديد العيش المشترك، المؤتمر الأوّل ١٢-١٤ أيّار ١٩٩٤م، مركز الدراسات والأبحاث الرعويّة، دير مار الياس، أنطلياس، ١٩٩٤م، ص ٤٧.

الحوار في أمور العقيدة، وحتّى لا يتحوّل الحوار إلى جدال متوتّر ينسف كلّ أجواء التعايش من أساسها.

فالقرآن الكريم واضح صريح في هذه النقطة، حيث يتبيّن أنّه لا حرج على المسلم أن يحيا التعايش السلميّ، بينه وبين أيّ إنسان مخالف له في دينه ومعتقده ولم يظاهر الطرف الآخر على المسلم بالعداوة والتحريض، أو الإساءة أو الخيانة، وهذا التعايش السلميّ قائم على أساس العدل والإحسان»[٦٩].

يقول سبحانه وتعالى ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تَبَرُّوهم وتُقْسِطُوا إليهم إنّ الله يحبّ المقسطين﴾[٧٠].

هذا المنهج الذي عرضته والذي ينابيعه آتية من منبعين ومصدرين أساسيّين هما القرآن الكريم والسنّة النبويّة الشريفة، بحيث يأخذ الحوار مساره الصحيح، وهذا المنهج حين يُتّبع كما يبدو لكلّ باحث منصف، هو تعبير عن نضج فكريّ ووعي حضاريّ، ويوصل إلى التوادّ والمحبّة، والمعرفة، والاحترام المتبادل، وبكلمة عامّة إلى تحقيق الأهداف المنشودة للحوار الإسلاميّ المسيحيّ.

وأختم هذا البحث بالآية الكريمة ﴿لتجدنّ أقربهم موقة للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى ذلك بأنّ منهم قسّيسين ورهبانًا وأنّهم لا يَسْتكبِرون﴾[٧١].

---

(٦٩) بسّام داود عجك: الحوار الإسلاميّ المسيحيّ، مرجع سابق، ص ١٦٣.
(٧٠) سورة الممتحنة، آية ٨.
(٧١) سورة المائدة، آية ٨١.

صدر حديثًا عن دار المشرق